دراسة مقارنة في الشهادة والمقاومة بين الادبين العربي والفارسي

أ.م. حسين ناظري الباحث. احمد محمدي نجادباشاكي

الباحث. جليل حاجي بور طالبي

قسم اللغة العربية وآدابها/ جامعة فردوسي/ مشهد/ ايران

A Comparative Study Between Arabic and Persian Literature in Martyrdom and Resistance

Asst. Prof. Husain Nazery
Researcher Ahmad Muhammady Najadbashaki
Researcher Jaleel Haji Bor Talibi
Dept. of Arabic/ University of Firdosi/ Mashad/ Iran
a.mohamadi.np@gmail.com

Abstract

Martyrdom and resistance are mentioned in Both Arabic and Persian literature. The research aims at studying some poems about martyrdom chosen from both Arabic and Persian literature. The result of the study is

الملخص

ان قضية الشهيد والمقاومة قضية اعتني بها الادبان العربي والفارسي فتولى الشعراء في تلك الظروف الصعبة التي طرأت بعد الاحتلال، وذلك من خلال كلامهم الذي وصل الينا بشكل ابيات تحكي موقعهم في المقاومة.

فهذه الدراسة التي اعتمدت في خطتها على المنهج الوصفي–التحليلي تهدف الى دراسة الاشعار الممتازة للشعراء المعاصرين بين الادبين الفارسي والعربي والتي انشدت حول مفاهيم المقاومة والشهادة. فتوصل البحث الى ان الشجاعة من الصفات التي اتصفت بها الشهداء في اشعار الادبين، وقد تناول الشعراء محور الشهادة حيث اكد على قيمتها ومعانيها السامية. وقد أعطوا للشهيد صورة خالدة وشخصية ثائرة تسير بين الثوار، فالشهادة لديهم التنديد بالحرب والارهاب؛ هي خطوة علي درب الانتصار، ليس شعر الشهادة شعر الرثاء وتقديم العزاء الى ذويهم قط؛ بل هو أداة لإثارة النخوة والعزّة في القلوب.

الكلمات المفتاحية: شعراء المعاصر، الشهيد، المقاومة، العربي، الفارسي.

المقدمة

والغرض من الادب الملتزم هو توجيه المجتمع ودعوته باتجاه الحقيقة. «وظيفة الشعر هو النوعية الناس وتحفيزهم، أي الشعر طريقة معينة يلفت الانتباه إلى أي شيء، بل يشجع على التصور والداعي الى الوعي» [1]

يلزم ان يتخذ الشعر في اعتلاء الناس، والشاعر هو الذي ينبغي شعره لغة المجتمع: «يجب الشعر أن يكون كلمة عصره يدل على زمانه ومجتمعه؛ الشعر ظاهرة بشرية وللبشر. والشعر يقودهم ويستنهضهم الى الحركة [2]

قال المؤلف الأدبي سارتر المولف كتاب "ما هو كتاب الأدب" اننا نريد ان سيتخذ الادب وظيفته في تطور وتغيير المجتمع[3] وأكد سارتر أن الهدف من الأدب الملتزم هو الجهد والمقاومة.[4]

اذا كان المقاومة فرضا شرعيا، فان الاستشهاد ثمرة المعرفة اليقينية، فالذي يدفع المجاهد لان يبذل نفسه ويضحى دمه ايمانه العميق بان اداء هذا الواجب لن يضيع سدى، وانما اجره جزيل عند ربه «وَ لَئِنْ قُتِلْتُمْ في سَبيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ

1. ديجز، ديويد، (1388)، **اساليب نقد الادبي**، ترجمة: محمد تقي صدقياني وغلامحسين يوسفي، الطبعة السادسة، طهران: علمي للطباعة: 34.
2. كاخي، مرتضى، (1387)، **ابلغ من الصمت**، طهران: آگاه للطباعة، الطبعة التاسعة: 44.
3. نجفي، ابوالحسن، (1356)، دور الادب، طهران: مروارید للطباعة: 54.
4. سارتر، ژان بل، (1348)، ما الادب؟، ترجمه: ابوالحسن نجفي، طهران: كتاب الزمان للطباعة: 42.

ورَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ»[1] فالشهادة ليست مجرد موت يذهب بحياة الإنسان فيفقد معها الجسد الروح التي كانت تسكنه، وإنما هي رحمة ودعوة، وحرب على العدوان، وليس فيها ظلم ولا إرهاب، فبها تحفظ دماء المسلمين وغير المسلمين لأنها تدفع الظلم والبغي، وتكسر شوكة الكفر والطغيان، وتهدم مواخير الفساد والمفسدين، كما أنها في المقابل تؤسس دولة العدل والحق والحرية التي تحفظ حياة ودماء المستضعفين.

إن معاني العزة والكرامة والحرية لا تتجسد واقعًا في حياة الأفراد والمجتمعات والشعوب والأمم إلا إذا ابتليت، ومن أعظم الابتلاءات ظهور الأعداء الذين يغتصبون الأرض، ويعتدون على دين الله وعباد الله، وهنا يأتي دور المجاهدين تاج الوطن الذين يتحملون المسئولية كاملة دون تردد، يقاومون بروح تحررت من كل قلق وخوف، فلحظة الموت عندهم هي الهدف، غدوًا إلى العلا، وسموًا إلى الرفعة، وفوزًا بالنعيم المقيم.

أن شعر المقاومة المعاصر ساهم مساهمة مباشرَة في إشعال نار الثورة، وأن الشعراء أخذوا دورهم في الدفاع عن وطنهم ومقدساتهم، واهتم الشعراء المعاصرون كاسلافهم بموضوع المقاومة والشهادة اهتماما بالغا وخاصة بعد اندلاع الحروب في البلاد الاسلامية، وأنهم من خلال شعرهم نشروا ثقافة المقاومة والجهاد، ووظفوا دماء الشهداء، ونزيف الجرحى، ومعاناة الأسرى، لإيقاظ المشاعر والأحاسيس، وأن شعرهم جاء معبرًا بشكلٍ جلي عن حالة مجتمعهم.

حاولنا من خلال هذه الورقة أن نبين هذا الموضوع من خلال المنهج الوصفي كي نبين موقف الشعراء بين الادبين في مفهوم الشهيد والمقاومة.

1-1 خلفية البحث

و من الدراسات المسبقة في الموضوع كتاب «الشهيد والشهادة في الشعر العربي في صدر الاسلام والعصر الاموى» الذي قد كتبه عبدالرحمن علاوي الجبيلي وهذا الكتاب قد اهتمّ بالشهيد في الشعر مرتكزا على صدر الاسلام والعصر الاموي دون ان يعالج قصائد الشعراء المعاصرين. وكتاب «اندفاع نحو الشهادة» لمحمد علي آذرشب، وهذا الكتاب قد درس موضوع الشهيد والشهادة دراسة نظرية دون تطبيق على الادب.

2 تعريف الشهادة لغة واصطلاحًا

2-1 الشهيد في اللغة:

ورد في لسان العرب: حرف الدال، فصل الشين: شهِد: حضر، وشهده: حضره، وقوم شهود أي حضور، وشهيد على وزن فعيل، وهي من أبنية المبالغة، والشهيد المقتول في سبيل الله، والجمع شهداء، واستشهد، قتل شهيدا، وتشهد، طلب الشهادة، والشهيد حيّ، أي هو حيّ عند ربه.[2]

قال ابن فارس: الشين والهاء والدال، أصل يدل على حضور وعلم.[3]

وقال ابن الأنباري: سمي الشهيد شهيدًا لأن الله وملائكته شهود له بالجنة، وقيل سمُّوا شهداء لأنهم ممن يستشهد يوم القيامة مع النبي(ص) على الأمم الخالية. [4]

2-2 الشهيد في الاصطلاح:

هو من مات من المسلمين في جهاد الكفار بسبب من أسباب قتالهم، قبل انقضاء القتال، كأن قتله كافر أو أصابه سلاح مسلم، أو عاد إليه سلاحه، أو تردى في بئر أو هدة أو رفسته دابته فمات، أو قتله مسلم باغٍ استعان به أهل الحرب.

1. آل عمران: 157.
2. ابن منظور، محمدبن مكرم، لسان العرب، ج3، بيروت: دارصادر: 342.
3. أحمد إبن فارس إبن زكريا، أبو الحسين، (1994)، معجم المقاييس في اللغة، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشروالتوزيع.ج3، 22.
4. الزبيدي، محمد، (1996)، تاج العروس، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، ط.1، ج2، ص391.

وقال الكسائي: أشهد الرجل إذا استشهد في سبيل الله، فهو مشهد بفتح الهاء، وأنشد: أنا أقول سأموت مشهدًا. قال الشهيد في الأصل: من قتل مجاهدًا في سبيل الله، ثم اتسع فيه فأطلق على من سماه النبي(ص) من: المبطون والغرِق، والحرِق، وصاحب الهدم، وذات الجنب وغيرهم، وسمي شهيدًا لأن ملائكته شهود بالجنة، وقيل: لأنه حي لم يمت كأنه شاهد حاضر. وقيل: لأن ملائكة الرحمة تشهده، وقيل لقيامه بشهادة الحق في أمر الله حتى قتل، وقيل: لأنه يشهد ما أعد الله له من الكرامة بالقتل، وقيل غير ذلك. [1]

3 المقاومة والشهادة بين الادبين العربي والفارسي

ادب المقاومة هو ادب قد امتلات صفحاته بذكر مقاومة الابطال وتضحياتهم ولاسيما في الشعر الذي قدم صوراً من الشهادة والشهداء؛ قصائد كهذه تدل على مدى العناية التي اولاها الشعراء لتمجيد الشهداء وتخليد مآثرهم، حتى كانت امنية بعض الشعراء الحصول على الشهادة[2]

هذه الشعراء قد تناولوا منهجين لعرض تصوير الشهيد:

المنهج الاول: التطرق الى موضوع الشهادة كقيمة والتحدث عنه دون نظر الى ذكر اسماء الشهداء أو شرح وقائعهم مما استلهم الشاعر فكره منها.

و المنهج الثانى: ان ينكب الشاعر على شهيد معروف ويتناول اعماله وشخصيته الطيبة.

نظرا لتوظيف موضوع الشهيد في قصائد شعراء الادبين هذا الدراسة تلقى ضوءاً عاماً على الشهيد في شعرهم ويعالج جوانبهم في ما يلي.

3-1 الشهادة والانتصار

كتب الله الجهاد على المسلمين، بل جعله ذروة سنام الإسلام، فبالجهاد يصون المسلم عرضه، ويحفظ كرامته، ويدافع عن حقه، ومن ثم يعيش المسلم سعيدًا في دنياه تحت ظل رضا ربه، وسعيدًا في أخراه لأنه التزم أمر ربه، وانطلاقًا من عقيدة الجهاد عبر الشعراء عن أهميته وضرورته، فالشاعر خضر محمد جحجوح في قصيدته (شريان التحدي) يرى الواقع يفرض نفسه، فيتغلغل في شرايينه، فيصرخ معبرًا عن حرقته، وبصراحة وشجاعة ينذر نفسه متحديًا ليدفع آلام هذا الواقع، ولو كان ثمن ذلك روحه ودمه:

ولقد رأيت مصائبا ومكائدا	منها الخيانةِ تقطرُ
بيع الأراضي والسلام مع العدا	والسُّمّ فينا ينخُر
ولذا سأفجُر من دمائي طلقَتي	وإلى العُلا أتسوَّرُ
يا أهلَنا هذي الحقائق كالبَيا	رق في السَّماء تُزمجرُ
شدوا على البارود شريان التَّحـ	ـدِّي وانفِروا لتحرروا
ولتعلنوها للمهازلِ أنَّنا	حِممٌ تَمورُ تُفَجِّرُ [3]

ترتبط الشهادة هنا بالموت الإيجابي، القائم على المدافعة مع سبق الإصرار والترصد، ومع الوعي الكامل بثمن المقاومة، حيث ترتبط الشهادة هنا بروح الفدائية والإقدام والاستعداد البطولي للموت والاحتراق والتمزق رغبة في الوصول إلى حرية وكرامة وسيادة للحق. فالموت والدماء هنا مرتبطان بالصعود إلى المعالي، لأن القرار يتخذه الإنسان الفلسطيني الذي ملّ من التردد وانتظار النصرة، إنها الشهادة المحرضة للآخرين. يتناول هذا المفهوم قيصر امين پور في قصيدته:

1. عبد البديع، عراق، (2002)، صورة الشهيد في الشعر الفلسطيني المعاصر، عكا: مؤسسة الأسوار، ط.1، ج1: 10-11.
2. مصطفى، خالد علي، (1986)، الشعر الفلسطيني الحديث، العراق: دارالشوون الثقافية العامة، ط.2: 39.
3. محمد جحجوح، خضر،(1997)، صهيل الروح، مركز العلم والثقافة، النصيرات: 56.

شمشير به آسمان رساندند/ ماندند به عهد خويش رفتند/ رفتند ولي هميشه ماندند[1]

الشاعر يتناول ويتكلم من جماعة صارت يد واحد ولا يحزنه من سبيل الذي يخطوه وله هدف عالٍ ولذلک ينتظر النصرة.

وكان الإنتشار المكثّف للمفردات الدالّة على الشهادة عند سميح القاسم فضلا عن تأثيره على الجانب الفنّيّ والشكليّ لأشعاره يساعده على خلق عالم شعريّ يغطّي تفكّراته المتمرّد؛ فجرّته العناية بالموت والشهادة إلى ما يدنو منه مثل الليل، والأسحم، حيث كان الليل هنا رمز السواد والظلم وطوله يعني امتداد الإضطهاد ومثل الشهداء ودمهم الّذي يشرق مثل الشمس:

ولينهض المدّثرون بشارة الموت فيها حكمة ومعلّم
ربخت علينا العاديات وفرختوالطيل، طال الليل طال الأسحم
ولكلّ فجر شمسه ولفجرنا شمس من الشهداء يشعلها الدم[2]

يسري الدم في الأوردة والشرايين وينشر مكوّنات الحياة البشريّة في الخلايا وإن ينقطع ذلک عن الجسم يفقد الجسم حرارته وحيويّته ويسفرذلک عن مفارقة الحياة؛ فينظر سميح القاسم بحسّ مرهف إلى هذا السائل الحيويّ المراق من دم الشهداء ويصوّر به أعتى وسائل الدمار والقتل على إعطاءهم مكانة يستحقّها؛ إذ كان الدم عند الشاعر رمز الفداء ونبراس الحرّية وليس دما عاديّا بل دم مراق من بطل يضحّي بنفسه ليأمن من يلحقه؛ فكان البطل شمسا تحظي برمزية الظهور، والأمن، والطمأنينة غيرأنّها أضاعت ميزتها الايجابيّة هذه ولم تبق فيها معالم من الإصفرار والطلوع بل امتزجت بالحمرة المستقاة من الدم وهي صورة تتناول نهاية الزوال.

أما الشاعر كمال غنيم فيرى أنه يجب التمسك بفريضة الجهاد لدحر يهود عن الأرض الفلسطينية، فمعركتنا مع يهود معركة عزة وكرامة:

واسأل حجارة بلدتي ورمالها... عما رأت من فتية القرآن
شهدت معارك عزة وكرامة... طربت لها الأفاق في استحسان
نادى المنادي للجهاد تحركوا... جاءت جحافل كفرهم لطعان
جاءت جحافلهم فهبوا جاهدوا... إن الجهاد فريضة الديَّان
فلتقبلوا صوب المنايا رغبةً... إن الشهادة منهل الظمآن [3]

ويرى في الشهادة مدخلا لنصرٍ من نوع آخر، يتمثل في انتصار الذات بالحصول على الجنة وما فيها من خيرات، حيث تستقبله جموع الملائكة وسيد الشهداء حمزة، ويتزين بتاج الوقار، وتحتفل به الحور العين، ويكون الجزاء الأكبر في اللقاء مع الله والحوار الإيماني الرائع الذي ينتهي بحسرة الشهيد وحزنه لعدم تمكنه من العودة إلى الأرض ليقتل في سبيل الله مرة أخرى. ذكر الشخصية في القصيدة، من جهة يرتبط في موضوع "استدعاء الشخصيات" ومن ناحية أخرى، يرتبط في موضوع "قناع" أن استعملت كلا من المصطلحات المستخدمة في النقد الأدبي الحديث. قد يدعو الشاعر هذه الشخصيات ويتحدث معهم لان استدعاء الشخصيات لديه اثر في تعبير عن الكلام تاثيرا كثيرا.

يقدم الشاعر مع اجراء هذا العمل أصحابه وو من جهة الآخر في كلمته التي تنبثق من وجهات نظره القوية يعطي بعد الجديدة، وهذا الكلام يصبح قيمها اللفظية والمعنوية أكثر وأكثر فعالية.

1. امين بور، قيصر، (1968)، تنفس الصبح، تهران: سروش للطباعة، الطبعة الثانية: 41.
2. القاسم،سميح، (1993م)، الأعمال الكاملة للشاعرسميح القاسم، الكويت: دارسعادالصباح، ج2، ص414.
3. غنيم، كمال، (1994)، شروخ في جدار الصمت، رسالة شهيد، غزة: آفاق للطباعة والنشر والتوزيع: 33-34.

وفي هذا القصيدة يصبح حمزة مثالا او تمثالا للشجاعة الذي يجسم في الإيمان والشجاعة والقوة والتعبير عن الذات لديه.

يرى الشاعر شهريار طريق الشهادة طريق اميرالمومنين واصحابه الخُلَّص:

سلام ای جنــگـجویان دلاور نهنگانی به خاک وخون شناور

سلام ای صخره های صف کشیده به پیش تانک های کوه پیکر

صف جنگ وجهاد صــدر اسلام صف عمار یاسر، مالک اشتر

به قرآن وصف او بنیان مرصوص صف مولا علی، سردار صفدر [1]

یرتبط الشاعر بین کلمات «الصخرة، صف الطویل، دبابات الضخم» ویرسم لنا علاوة على انسجام بین هذه التعبیرات یتمثل لنا صورة من معرکة یتزینها للعیون ان یشاهد هذه الصورة التي جموع المواطنین یتجلون کصخور صلبة لایشعرون بضعف امام الدبابات وهذا مدخلٌ لنصر الوطن.

ولقد یرى الشاعر أبو النصر التمیمي الشهداء هو الشرفاء الذین نالوا شرف الشهادة، وهذا یکفیهم (نسورنا قد کممت أفواهها) و(البلبل الصداح کبل شدوه)، فبعد أن استشهدوا ترکوا فراغًا کبیرًا، رغم أنهم ورثوا أمانة المقاومة لرجال أشداء مستعدین لمواصلة المسیرة لنصرة الحق[2]

الشاعر یعشق الشهادة کما یعشق أرض الوطن، لذلك کانت روحه ترنو للوصول إلیها بکل الوسائل، یقول وهو في منفاه:

حلمنا معنا، ولکن بقایانا هناك/ ومنا لا زال فینا،/ وشظایانا هناك/ في انتظار الانفجار[3]

ثم نرى الشاعر یحدثنا عن یوم التحدي الذي لبس فیه جمیع مبعدي مرج الزهور أکفانهم البیضاء متجهین نحو الحدود اللبنانیة الإسرائیلیة، قاصدین البوابة التي یدخلون منها إلى فلسطین، لکن العدو الصهیوني عاجلهم بالرصاص والغاز المسیل للدموع، یصف لنا الشاعر هذا الموقف حیث یقول:

حملتنا من بقایانا العواصف../ فامتشقنا جرحنا الأخضر../ لملمنا دمانا من شرایین الصخور/ وتقدمنا ..تحدینا: قصفونا../ ها هو الآن شهید/ یرتقي نحو الأعالي../ اقصفونا../ دائما في قصفکم سوف نزید/ آثم من قال: نفسي/ آثم من قال: جرحي/ عزلٌ نحن نحامي عن بقایانا/ وحق الموت في أرض الجدود/ [4]

کان مبعدو مرج الزهور أمام خیارین: الأول العودة إلى الوطن، والخیار الثاني الاستشهاد، فقد رفضوا النفي والإبعاد جملة وتفصیلا، فنجحوا بإصرارهم وتحدیهم، فکان لهم ما أرادوا حیث عادوا إلى أرض الوطن مرفوعي الرأس منتصرین، وقد أغلقوا ملف النفي والإبعاد.

ثم الشاعر في قصیدته(عن الفارس) یوکد أنه سیعود إلى حیفا ولو کلفه ذلك الدم أو الشهادة:

أجيءُ إليكِ..

أعصف في حضور الصمت..

أنزف في حضور الموت..

أرسم بالدم الكلمة

ليورق صوتك الباقي

على قلمي

1. صحیفة الاطلاعات، الثلاثاء 27 ذي‌القعده 1435- 23 سبتمبر 2014، الرقم: 25978.
2. التمیمي، أبو النصر، (1994)، دیوان أوفیاء الکروم: 53.
3. محجز، خضر، (1995)، اشتعالات على حافة الأرض، القدس: اتحاد الکتاب الفلسطینیین:30.
4. (نفسه: 37-38)

وأوراقي

ويولد فارس الخيم[1]

الشاعر يريد تحطيم حرقة المنفى، ليعود إلى الوطن بسرعة حتى لو (اجتاز اختبار الموت) فقضى شهيدًا، أو (نزف في حضور الموت)، فالموت عنده شهادة، والشهادة شرف وانتصار، هو يريد أن يوصل رسالته التي كتبها بالدم (أرسم بالدم الكلمة) والتي فحواها أنه لا بديل عن الوطن، وستؤتي هذه الرسالة ثمارها(ليورق صوتك الباقي على قلمي وأوراقي، ويولد فارس الخيمة).

اما الشاعر قيصر امين پور في قصيدته يمثل الشهيد بالوردة:

شهادت لاله ها را چيدنى كرد به چشم دل خدا را ديدنى كرد

ببوس اى خواهرم قلب برادر شهادت سنگ را بوسيدنى كرد[2]

يرى الشاعر الشهادة الشرف والطيبة وستؤتي ثمارها ليعز عند الله وعند الناس وحتى الارض التي فيه دفنت اثرت من انتصاره امام الاعداء ويطيب قبرها. او في ابيات اخرى:

چه شهيدى كه گل ولاله ونسرين يكجا/ به خزان خفته ى آن نرگس مدهوشش باد[3]

بدا الشاعر قصيدته مع الصفة التعجبية "ماذا" وبهذا المنهج يعز شهيد على الزهور الاخرى واشار الزهور وهناك مناسبة بين الوردة والزنبق و..، ونظن أن الشاعر يرى الزهور الضعفاء أمام رتبة الشهيد وتذبل امام جماله.

يرى الشاعر حسن ارباب هذا بوجه آخر:

اى روشناى خانه ى اميد اى شهيد..... اى معنى حماسه جاويد اى شهيد[4]

يرتبط الشاعر تاثير دم الشهيد بالامل الجديد وهذا يعني الانتصار الرئيسي. تمثل الشاعرة سپيدة كاشاني الشهيد بالوردة في زواله مبكرا:

سحر شكفتى وبر اوج عرش لانه گرفتى.....غروب، شعله كشان در شفق زبانه گرفتى

ز دامن صحرا چو گردباد، گذشتى.....گهي به خلوت خورشيد آشيانه گرفتى[5]

ولكن تشوف هذا العمر الصغير وسرعة زواله مع الشرف وكلها سبب خلوده وانتصار الطريق التي يتخذه.

يتناول قيصر امين پور في قصيدته من انكسار عظام الشهيد في معركه ولكن ليس الانكسار يهدو من ياسه بل يهدو لانتصاره وعزته في معركه ويسرد هذا الايثار في الابيات:

من از او بوى خودسوزى شنيدم.....حديث عشق آموزى شنيدم

ز آهنگ شكست استخوانش.....صداى پاى پيروزى شنيدم[6]

الايثار وفدائه لمواطنه جعل منه اسطورة اما يبدو بصورة الاساطير المعروفة في الحرب مثلا يتناول باسم حسين فهميدة ويكون فيها الاستعمال الرمزي وخلق الجمالي:

تو همچون غنچه هاى چيده بودى..... كه در پرپر شدن خنديده بودى

مگر راه حيات جاودان را.....تو از فهميده ها فهميده بودى[7]

1. الهيجاوي، باسم، (1992)، ليالي الدم والسوسن، دون. ط:45)
2. امين بور، قيصر، (1968)، تنفس الصبح، طهران: سروش للطباعة، الطبعة الثانية: 46.
3. شهريار. 9731.الديوان. الطبعة 21. طهران: زرين ونگاه للطباعة: 1184.
4. ارباب، محمد حسن، (1376)، الملامح الثابتة، سورة: 77.
5. كاشاني، سبيده، (1373)، ربيع الزاهرة، من مجموعه خطاب المالوف، وزارة الثقافة الايرانية: 98.
6. امين پور، قيصر، (1968)، تنفس صبح، تهران: سروش للطباعة، الطبعة الثانية، 168.
7. ثقفي، طاهره، (1385)، شعر المقاومة، صحيفة رسالت 5893، التاريخ 85/3/31.

وصارت انتصاره خلوده في الاذهان وترسم لنا صورة مع الامل والشرف.

3-2 الشهيد واثر دمه

عندما تشتعل الثورة في قلب الشاعر، لا يجد أمامه – ليعبر عنها – سوى الأحاسيس والمشاعر، ومن ثم يترجمها إلى صوت مسموع من خلال نظمه للشعر، وتعدّ دماء الشهداء وآلام الجرحى والأسرى وعذابات ومعاناة الناس هي وقود هذه الثورة التي تطالب بالحرية والاستقلال، حيث يعلن فيها أنه ثابت على أرضه كالجبل الأشم، ويرى أن المقاومة هي السبيل الوحيد لدفع هذه الظروف ورفضها يقول، الشاعر:

ربما أفقد – ما شئت – معاشي

ربما أعمل حجارًا – وعتّالا –وكنّاس شوارع

ربما

ربما تسلبني آخر شبر من ترابي

يا عدو الشمس– لكن ...–لن أساوم

وإلى آخر نبض في عروقي ...سأقاوم [1]

نلاحظ أن شعر المقاومة ساهم مساهمة مباشرًة في إشعال نار الثورة، وأن الشعراء من خلال شعرهم نشروا ثقافة المقاومة والجهاد، ووظفوا دماء الشهداء، ونزيف الجرحى، ومعاناة الأسرى، لإيقاظ المشاعر والأحاسيس، وأن شعرهم جاء معبرًا بشكلٍ جلي عن الحالة الفلسطينية.

الشاعرة فدوى طوقان صورت لنا كفاح ابن عمها(حمزة) مرفوع الرأس، عالي الجبين، أمام العدو الصهيوني، حين هدموا داره، فلم يضعف، بل بقي راسخًا في أرضه كالجبل الأشم:

قال لي حين التقينا ذات يوم

وأنا أخبط في تيه الهزيمة

اصمدي، لا تضعفي يا ابنة عمي

هذه الأرض التي تحصدها

نار الجريمة

والتي تتكمش اليوم بحزن وسكوت

هذه الأرض سيبقى

قلبها المغدور حيًا لا يموت[2]

فرغم الجريمة التي ارتكبها الأعداء، والتي أشعلت نار الأحزان والآلام على فقدان الشهداء، فقد ربطت الشاعرة بين الأرض ذات القلب المغدور وبين الشهداء الذين رووا بدمائهم الزكية ثراها، فهي تتكمش وتحزن وتسكت إجلالا لهذه الدماء الطاهرة التي بعثت في كل حبة رمل من هذه الأرض الحياة من جديد، حتى أصبحت قمة في الصلابة، وآية في الصمود، وأسطورة في دفع الأعداء، فسيبقى قلبها المغدور حيًا لا يموت.

حاول الشاعر شهريار هذا الفكر في ابياته ويعدّ دماء الشهداء زهوراً صورت صورة الربيع في خزان الوطن:

جوانه هاى شهيدان شكوفه زارانند به اين خزانزدگى، سرگل بهارانند[3]

1. يحيى زكريا، الأغا، (دون تا)، إضاءات من الشعر الفلسطيني المعاصر، 88-89.
2. طوقان، فدوى، (1978)، الأعمال الكاملة(قصيدة حمزة)، بيروت: دار العودة: 542)
3. شهريار. 9731.الديوان. الطبعة 21. طهران: زرين ونگاه للطباعة: 1160.

ربط الشاعر في البيت تناسبا معنويا بين كلمات «برعم، الزهرة، الشهداء، الخريف والربيع» التعابير التي كلها يجلو امام القارئ ويتردد صورة الربيع والخريف في ذهنه ويرسم اللون الخضراء بين الحمراء ويبعث في كل ارجاء الوطن حياة جديدة بعد ان صارت اوراقها مصفرة.

وتتكرر المعاني الشاعر خضر محمد جججوح في القصيدة التالية داعيًا للصمود، والقتال، والمقاومة:

لتعلو الكتائب...تسمو
على الأفق نارًا ونورًا...مشاعل
براكين مجدٍ وثأرٍ...زلازل
وترعد...تبرق
تشرق تورق
تنبت في الصخر جيلا جديدًا يقاتل
أبيا فريدًا...يجاهد، يبقى يصاول
وتعلن بالدم ميلاد شعبٍ
تعاهد في الله ألا يساوم
وأقسم: يبقى يقاوم...يبقى يقاوم[1]

الشاعر خضر جججوح يحدد طريق الخلاص والتحرير وذلك بمواجهة العدو (حتى نذيق العدو وبال المصير) وستبلغ المواجهة مداها فيكون الشهداء، دماؤهم هي الوقود وجراحهم هي الشموع، وسيتحول جو المعركة إلى (نار ونور ومشاعل) وإلى (براكين مجد وثأر... زلازل)، وستؤتي هذه المقاومة ثمارها الذي تورثه للأجيال (تنبت في الصخر جيلا جديدًا يقاتل)، وليس كأي جيل، وإنما (أبيًا فريدًا... يجاهد، يبقى يصاول)، فالمقاومة هي التي توحد صفوف الشعب، وتجعله يستعصي على الانكسار أو يتنازل عن حقوقه الشرعية (وتعلن بالدم ميلاد شعب تعاهد في الله ألا يساوم، بل يبقى يقاوم)

الشاعر امين پور في قصيدته «جان تو دوباره جامه اى تازه گرفت/ وزخون تو اين كتاب، شيرازه گرفت/ پيراهن تازه تو را مى بايد/ با قامت آفتاب اندازه گرفت»[2]، يسمى رداء الجديد«الملابس الجديدة» لتسمية الشهادة موكدا عليه بكلمة «دوباره»، معبرا عنها بحياة الجديدة التي تبلغ سيمفونية حريته حتى شعاع الشمس. اختار الشاعر المعني نفسه في قصيدة اخرى: «ديدار تو را به شوق خواهم كشيد/ چون جامه تازه ايت خواهم پوشيد/ گر آتش صد هزار دوزخ باشى/ اى مرگ! تو را چو آب خواهم نوشيد»[3]

يقر الشاعر يوسف المحمود بأن نهاية الشهيد ولادة جديدة، وبعث واستنهاض للأحياء:

هو لم يمت
لم يقتلوا فيه الحياة
الآن يصعد مرة أخرى
على فرس الحنين
بيديه يبتهل الفرح
للشمس والفجر الجديد وللحياة [4]

1. محمد جججوح، خضر،(1997)، صهيل الروح، مركز العلم والثقافة، النصيرات: 86.
2. امين بور، قيصر، (1968)، تنفس الصبح، طهران: سروش للطباعة، الطبعة الثانية: 51.
3. نفسه: 37.
4. المحمود، يوسف، (1989)، زغاريد على بوابة الصباح، اتحاد الكتاب الفلسطينيين: 19.

فقبور الشهداء تصبح ألغامًا تتفجر بالعدو، ذلك أن الشهداء تتكاثر طاقاتهم من خلال اندفاع الكثيرين للسير على نهجهم والانتقام ممن ظلمهم.

أما الشاعر نزار قباني في شعره سميتک الجنوب فيرى أن الشهادة ميلاد جديد لحياة سعيدة لا يعرف العبودية أو الاغتصاب، ويشبه الشهادة (وردة الحرية)، يقول:

يا أيُّها المغسولُ في دمائه كالوردةِ الجُوريَّهْ
أنتَ الذي أعطيتَنَا شهادةَ الميلادْ
ووردةَ الحريَّهْ ..

وحينما تتقاطع الشهادة مع العبودية والاغتصاب وتتوازى مع جميع الحريات تبلغ الشهادة أقصى مراتب الحرية.

ولو انتقلنا إلى الشاعر ابراهيم طوقان، فسنجد أنه جعل دم الشهيد كوكب الهدى يحمل ضوء تحث على الجهاد، وترفض الدموع والحداد:

لا تَقُل أينَ جسمُـهُ واسمُه فى فَم الزَّمن
إنَّه كوكبُ الهــدى لاحَ فى غَيهَبِ المِحَن
أرسلَ النُّورَ فى العيونِ فَما تَعرفُ الوَسَن
و رَمَى النّارَ فى القلوبِ فَما تَعرفُ الضَّغَن [1]

يعطي الشاعر سليمان العيسي علي لدم الشهيد قدسية خاصة، فهو الذي روى البلاد، ثم جعله يصيح بصوت مجلجل حي على الجهاد إيمانًا بفعالية هذه الطريق وصحة نتائجها.

إقرأ عليهم سورة الفتح التي بيعت، فدفقةُ وهجها ظلماءُ
اقرأُ علينا من دمائك آيــةٌ تهدر بغير دمارنا الأصداءُ
إقرأْ علينا باسم ربك، باسمنا باسم العروبة...كُلُّنا إصغاءُ[2]

ورغم السياسة التعسفية التي يمارسها الاحتلال الصهيوني ضد أبناء الشعب الفلسطيني: سياسة الحصار، والتجويع، والتهديد، والتدمير، والتعذيب، إلا أن الشعب الفلسطيني حافظ على بنيانه وكيانه، بل ازداد صلابة وتحديًا، فأسطورة الفلسطيني (الفقير) التي سجلها أحمد دحبور في قصيدته(الفهد ينشر أسرار) وقد نسجها بمناسبة استشهاد قائد عملية الخالصة (فؤاد زيدان) ورفاقه الثلاثة – توضح مدى هذا التحدي، يقول:

ولعصفورة الفهد موعدها،
يتقدم وعل،
فيأتي الثلاثة في موكب الفقراء
وتنهض زنبقة في مدار أسير
يصافحها الواصلون فينهدم الأسر
والأرض تخضر
تخضر تخضر حتى تحاذي السماء[3]

1. طوقان، فدوى، (1978)، الأعمال الكاملة(قصيدة حمزة)، بيروت: دار العودة، 271.
2. عيسى، سليمان، (1980)، الاعمال الكاملة، بيروت: دارالشورى، چاپ اول، ج2: 620.
3. يحيى زكريا، الأغا، (دون تا)، إضاءات من الشعر الفلسطيني المعاصر: 1251-152.

لقد حدد الشاعر السبيل الموصل إلى الوطن من خلال ما سار عليه شهداء الخالصة الثلاثة، حيث أنهم استطاعوا تحقيق أمانيهم وآمالهم، وذلك تعطرت عندما الأرض بدمائهم الزكية التي امتزجت بذرات ترابها، فاخضرت وتحولت إلى زنابق يصافحها الواصلون، وبذلك تكسرت أمامهم كل الحواجز والموانع والسدود.

يرى الشاعر ماجد الدجاني أن الوطن محفور في قلوب الفلسطينيين، وأرادوا أن يعبروا عن عشقهم لهذا الوطن، فنظروا إلى الأعالي حيث النجوم، فعزموا على أن يسطِّروا أمجادهم بفدائهم ودمائهم عليها وفاء لهذا الوطن:

صباح الخير يا وطنًا تسامى
على الأمجاد أبدع في الفداء
فخطَّ على النجوم سطور مجدٍ
وملء دواته نزف الدماء

والشهيد في نظر الشاعر يوسف المحمود صامد، صابر، مبتسم أمام طلقات النيران، يبقى متمسكًا بأرضه حتى آخر نفس:

صادته أنياب الرصاصة فابتسم
ما قال آه..
لما تفجر في دمه
شوك الألم
حضن التراب...
وقبل الأرض الحبيبة
ثم غنى للبيادر
والسهول
وللروابي
والقمم[1]

ويغيب جسد الشهيد عن الأنظار، وتبقى روحه تسري في شرايين الأحياء، هو مات على الثورة، وكفن نفسه بثوب الوطنية، وقبل بتراب الأرض الغالي ليكون غطاءه:

وعيون تتحدث عن هذا المتوهج في القلب
شهيدًا وشديدًا
ضد الغيلان،
فتيًا وقويًا
ضد قراصنة الأرض، لصوص الإنسان
على الدرب، مضى
وعلى الدرب، قضى
بطلا، مثلا
لم يخلع ثوب الوطنية
لم يلبس غير تراب الأرض

1. المحمود، يوسف، (1989)، زغاريد على بوابة الصباح، اتحاد الكتاب الفلسطينيين: 73، 72.

ولم يشرب
إلا من حفنة كّفيه
وقد روى من ماء الروح جميع الناس
زلالا وحلالا
حتى مات على الثورة

إنه الوطن الذي علَّم النفوس عشق الحياة، وغرس في الأرواح نور الأمل، فلولاه ما كان للحياة طعم، ولا فيها لذة، إنه الوطن الذي وحد الأرواح، وأرسى معاني التماهي والتماسك، ومن أجله تندلع الثورة، وتنتفض الشعوب، ويعم الغضب، ومن هنا كان جدير بالشعراء أن يتغنوا به، وحقَّ للشهداء أن يبذلوا دماءهم رخيصة للدفاع عنه.

فالشهداء هم المشعل الذي ينير لنا السبيل لحماية أوطاننا من المحتلين، وهم الفداء لأنهم يجودون بدمائهم الزكية، وأرواحهم الطاهرة ثمنًا لحريتنا وكرامتنا ورفعة شأننا، وهم الذين يبعثون في نفوس الأحياء روح التضحية والأمل ليصونوا شرف الأمة، وتراث الوطن، وأمجاد الأجداد.

في قصيدة بعنوان (لن يتوقف الجريان) يمجد الشاعر ماجد الدجاني روح الشهيد (عثمان البرهم) الذي استشهد في شهر رمضان وهو صائم في مجزرة صهيونية داخل الحرم الإبراهيمي، وقد جمع الشهيد أجورًا متعددة أثناء استشهاده، فهو الصائم القائم المرابط الشهيد:

مجد الشهادة فوق كل بلاغة
وأمام مجدك تنحني الأوزان
طوبى لمن نال الشهادة صائمًا
وله سيشهد شافعًا رمضان
روح وريحان وفيض كرامة
نزل الشهيد وأنهر وجنان
عثمان جسدت النضال حقيقة
لا بالكلام ...ويشهد الميدان[1]

يقر الشاعر بأن نهاية الشهيد ولادة جديدة، وبعث واستنهاض للأحياء:

هو لم يمت
لم يقتلوا فيه الحياة
الآن يصعد مرة أخرى
على فرس الحنين
بيديه يبتهل الفرح
للشمس والفجر الجديد وللحياة [2]

يقول الشهيد الدكتور ابراهيم المقادمة في الشهيد الذي فجر نفسه في أعداء وطنه ودينه وأمته:

وتبسم
أشعل النور وسافر

1. ماجد الدجاني، قمر على شباكنا، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس،1999 ، ط. 1: ص49.
2. المحمود، يوسف، (1989)، زغاريد على بوابة الصباح، اتحاد الكتاب الفلسطينيين: 19.

وغدت أشلاؤه لما تناثر
لقوافل الشهدا منائر
قذف النار جحيمًا في قلوب لا تلين
ورمى النور ضياء في قلوب العاشقين[1]

إن الشهادة في خطاب الشاعر المقادمة نور وضياء وحياة لمن يعشقون النور والحياة الكريمة ونار وجحيم على المحتلين والطغاة المجرمين، وهي التي تدفع المجاهد أن يمزق الأنانية ويطهر نفسه منها، ويلبس تاج الإيثار، فيتجرد من الشهوات الدنيوية، ويعمل من أجل الآخرين، فيضحي ويضحي في سبيل الدين والكرامة، وبذلك يكون قد وصل إلى قمة الإيمان بامتثاله لأوامر الله.

يقول الشاعر هارون هاشم رشيد:

لغة الثأر دواء
أنت من أرض سقتها بالدماء الشهداء
يا سليل النصر والفتح، ويا نسل الوفاء
سر، تقدم، ثابت الخطو فقد حان الفداء
سر معي، فالوطن الحر تلاقت فيه أصداء النداء
كلهم ساروا أمامًا، وأمامًا، لا وراء
سر معي في الركب يا صاحِ فقد لاح الرجاء [2]

يستثير الشاعر هارون هاشم رشيد المتلقي بقوله(لغة الثأر دواء)، ويستنفر الشباب مستخدمًا فعل الأمر (سر، تقدم)، والخطاب المباشر(أنت من أرض سقتها بالدماء والشهداء) ثم بأسلوب النداء (يا سليل النصر والفتح، ويا نسل الوفاء)، ثم يطلب منهم مرارًا أن يسيروا معه بخطًا ثابتة (فقد حان الفداء)، وأن يسيروا معه في الركب (فقد لاح الرجاء)، وأن يسيروا إلى الأمام لا إلى الوراء.

وتظهر ثقافة الاستشهاد جلية في شعر محمود مفلح، فهو يرى طريق الجهاد طويل وشاقًا، لكنه قدر يجب الصبر عليه، ثم يبين أن الجهاد قد ينتهي بالمجاهد إلى الاستشهاد فينال الشرف العظيم، يقول:

كفكف دموعك فالطريق طويلا
درب الشهادة قاتل وقتيل
قدر بأن نلقى القذائف عزلا
ونلوكمر الصبر وهو جميل
ونواجه الطاغوت في أشكاله
فالرأس رأس والذيول ذيول!!
كفكف دموعك فالجراح عزاؤنا
ودم الشهادة في الدجى قنديل
واصعد إلى قمم الصراع فإننا
فوق الرواسي الشامخات نصول[3]

1. المقادمة، إبراهيم، (دون تا)، ديوان لا تسرقوا الشمس، مجلس طلاب الجامعة الإسلامية بالتعاون مع شركة أمجاد، 52.
2. هارون هاشم رشيد، (1956)، عودة الغرباء، بيروت: منشورات المكتب التجاري الحديث: 256.
3. مفلح، محمود، (1991)، نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني، المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع: 103.

ينظر الشاعر إلى الشهادة نظرة المتعمق في أسرار الوجود، فهي ليست مجرد موت أو انتهاء حياة، بل هي عبادة خالصة وقربى صادقة إلى الله، وهي مصباح ينير ظلمة الغافلين والمتخاذلين(ودم الشهادة في الدجى قنديل)، لذلك فهو يرفض البكاء والدموع والأحزان (كفكف دموعك فالجراح عزاؤنا)، ثم يطلب من الجميع الصعود إلى قمة الصراع لمواجهة الأعداء، فإما نصر وإما شهادة.

حصاد البحث

قد تناول محور الشهادة حيث اكد على قيمتها ومعانيها السامية. وقد أعطى للشهيد صورة خالدة وشخصية ثائرة تسير بين الثوار وتتدد بالمحتل كي يشحن همة المناضلين ويبثّ روح الامل والمثابرة فيهم. ويظهر في لغة شعره تاثّره بالتراث الديني، حيث وظّف الايات القرآنية وذلك لإعطاء الخطاب الشعري قيمة فنية ذات تاثير عميق في نفس المتلقي بعد ان يمنحها روية الخاصة.

الشهادة بمعنى بداية خطوة، لذالك انهم احياء بيننا، يخرج الشعر من بين اصابعهم ومن صدورهم وشعاع عيونهم.

الشعر المقاومة هو الإثارة النخوة الرجولة في القلوب الثوار ضد الظلم والاضطهاد ولهذا يكون مليئة بالحركة والنبض الانساني.

ان الشعر العربي المعاصر مليء باللوحات والمشاهد الشعرية الرائعة للشهداء، محتضنة حكاياتهم، زاخرة بالمعاني والمضامين القيمة متنوعة في الاساليب والقوالب، فيقصد الشاعر من وراء حديثه عن الشهيد هو تكريم الشهيد والشهادة واشعال نار الحماسة المتاججة في صدور الثوار للثار والانتقام من الظلم والطغيان وتخليد سيرهم وملامحهم وبطولاتهم.

المآخذ

ابن منظور، محمدبن مكرم، **لسان العرب**، بيروت: دارصادر.

أحمد إبن فارس إبن زكريا، أبو الحسين، (1994م)، **معجم المقاييس في اللغة**، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشروالتوزيع.

ارباب، محمد حسن، (1376ش)، **الملامح الثابتة**، طهران: سورة للطباعة.

امين بور، قيصر، (1968م)، **تنفس الصبح**، طهران: سروش للطباعة، الطبعة الثانية.

التميمي، أبو النصر، (1994)، **ديوان أوفياء الكروم**.

ثقفي، طاهره، (1385)، **شعر المقاومة**، صحيفة رسالت 5893، تاريخ 85/3/31.

جمال الدين إبن منظور، أبو الفضل، (دون تا)، **لسان العرب**، بيروت: دار صادر.

ديجز، ديويد، (1388)، **اساليب نقد الادبي**، ترجمة: محمد تقي صدقياني وغلامحسين يوسفي، الطبعة السادسة، طهران: علمي للطباعة.

الزبيدي، محمد، (1996)، **تاج العروس**، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، ط.1.

سارتر، ژان بل، (1348)، **ما اللادب؟**، ترجمة: ابوالحسن نجفي، طهران: كتاب الزمان.

شهريار، محمد حسين، (9731).الديوان. الطبعة: 21. طهران: زرين ونگاه للطباعة: 1184.

طوقان، ابراهيم، (2005)، **ديوان اشعارابراهيم طوقان**، بيروت: دار العوده.

طوقان، فدوى، (1978)، **الأعمال الكاملة(قصيدة حمزة)**، بيروت: دار العودة.

عبد البديع، عراق، (2002)، **صورة الشهيد في الشعر الفلسطيني المعاصر**، عكا: مؤسسة الأسوار، ط.1.

عيسى، سليمان، (1980)، **الاعمال الكاملة**، بيروت: دارالشورى، چاپ اول.

غنيم، كمال، (1994)، **شروخ في جدار الصمت، رسالة شهيد**، غزة: آفاق للطباعة والنشر والتوزيع.

فريد طهماسبى، (1387)، **اشعار** المنتخبة، **دفتر الشعر يسمي بـ «پري بهانه‌ها»**، سوره المهر للطباعة.

القاسم،سميح، (1993م)، **الأعمال الكاملة للشاعرسميح القاسم**، الكويت: دارسعادالصباح.
كاخي، مرتضى، (1387)، **ابلغ من الصمت**، طهران: آگاه للطباعة، الطبعة التاسعة.
كاشاني، سبيده، (1373)، **ربيع الزاهرة، من مجموعة الخطاب المألوف**، وزارة الثقافة الايرانية.
ماجد الدجاني، (1999)، قمر على شباكنا، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، ط. 1.
محجز، خضر، (1995)، **اشتعالات على حافة الأرض**، القدس: اتحاد الكتاب الفلسطينيين.
محمد جحجوح، خضر،(1997)، **صهيل الروح**، مركز العلم والثقافة، النصيرات.
المحمود، يوسف، (1989)، **زغاريد على بوابة الصباح**، اتحاد الكتاب الفلسطينيين.
مصطفى، خالد علي، (1986)، **الشعر الفلسطيني الحديث**، العراق: دارالشوون الثقافية العامة، ط.2.
مفلح، محمود، (1991)، **نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني**، المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.
المقادمة، إبراهيم، (دون تا)، **ديوان لا تسرقوا الشمس**، مجلس طلاب الجامعة الإسلامية بالتعاون مع شركة أمجاد.
نجفي، ابوالحسن، (1356)، **دور الادب**، طهران: مروارید للطباعة.
هارون هاشم رشيد، (1956)، **عودة الغرباء**، بيروت: منشورات المكتب التجاري الحديث.
الهيجاوي، باسم، (1992)، **ليالي الدم والسوسن**، دون. ط.
يحيى زكريا، الأغا، (دون تا)، **إضاءات من الشعر الفلسطيني المعاصر**.
صحيفة الاطلاعات، الثلاثاء، يوم 27 ذيالقعده 1435. 23 سپتمبر 2014. الرقم 25978.